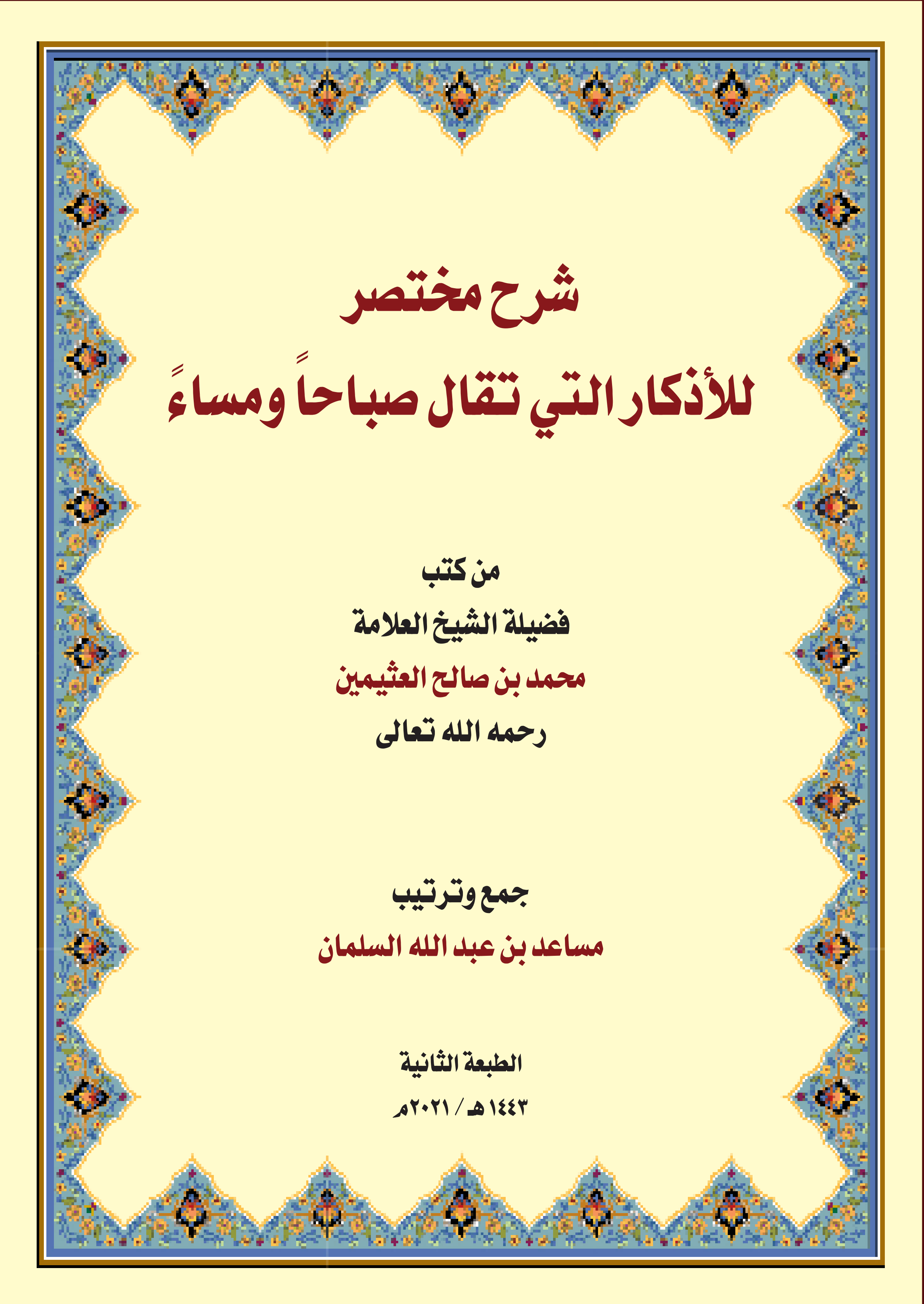


شرح مختصر
للأذكار التي تقال صباحاً ومساءً

من كتب

فضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

رحمه الله تعالى

جمع وترتيب

مساعد بن عبد الله السلمان

الطبعة الثانية

١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م


بسم الله الرحمن الرحیم





الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله . أما بعد:

فهذا شرح مختصر للأذكار التي تقال صباحـًا ومساءً، جمعته لك -أخـي القارئ الكريم- من كتب شـيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، رجاء الانتفاع به.

❊❊❊

بسم الله الرحمن الرحيم

الأذكار التي تقال صباحاً ومساءً

١. ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ (البقرة: ١-٥).

٢. ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ (البقرة: ٢٥٥).

٣. ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا



طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ (البقرة: ٢٨٥-٢٨٦).

٤. ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾ [غافر: ١ – ٣].

٥. ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ (الحشر ٢٢-٢٤).

٦. ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾﴾ (السورة كاملة ثلاث مرات).

٧. أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق (ثلاث مرات).

٨. بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم. (ثلاث مرات).

٩. رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبيا. (ثلاث مرات).

١٠. أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله لا إله إلا الله وحدة لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير رب أسألك خير ما في هذا اليوم وخير ما بعده وأعوذ بك من شر ما في هذا اليوم ومن شر ما بعده رب أعوذ بك من الكسل والهرم وسوء الكبر وأعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر . وفي المساء يقول أمسينا وأمسى الملك لله ويقول: رب أسألك خير ما في هذه الليلة .. إلخ بدلاً من: (أصبحنا وأصبح) وعن: (هذا اليوم).

١١. اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت واليك النشور . وفي المساء يقول: اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نموت وبك نحيا وإليك المصير.

١٢. اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر . وفي المساء يقول: ما أمسى بي.

١٣. اللهم إني أصبحت في نعمة وعافية وستر فأتم نعمتك عليّ وعافيتك وسترك في الدنيا والآخرة (ثلاث مرات) وفي المساء يقول اللهم إني أمسيت الخ.

١٤. اللهـم إني أعوذ بك من الهم والحـزن وأعوذ بك من العجز والكسـل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين ومن قهر الرجال.

١٥. اللهم إني أسـألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك العفـو والعافيـة في ديني ودنيـاي وأهلي ومالي اللهم اسـتر عـوراتي وآمـن روعـاتي اللهم احفظنـي من بين يـدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن اغتال من تحتي.

١٦. اللهـم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتنـي وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

١٧. اللهم فاطر السـموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شـيء ومليكه أشـهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسـي ومن شـر الشـيطان وشـركه وأن اقترف على نفسي سوءاً أو أجُره إلى مسلم.

١٨. اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وأنبياءك وجميع خلقك بأنك أنت الله لا اله إلا أنت وأن محمداً عبدك ورسولك . وفي المساء اللهم إني أمسيت .. الخ (أربع مرات)

١٩. لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير (مائة مرة) في الصباح والمساء.

٢٠. حسبي الله لا اله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم (سبع مرات).

٢١. حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله مرمى.

٢٢. سبحان الله وبحمده (مائة مرة) في الصباح والمساء . أو فيهما جميعا.

٢٣. استغفر الله وأتوب إليه. (مائة مرة).

هذا ما تيسير كتابته أسأل الله تعالى أن ينفع به كاتبه محمد صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ ١٤١٨هـ.

❊❊❊




بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾ (البقرة: ١-٥).

الشرح:

في هذه الآيات يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾؛ وهو القرآن الكريم، وأشار الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ إليه بإشارة البعيد؛ لعلو مرتبته، وعظيم منزلته؛ فإنه كلام الله عَزَّوَجَلَّ الذي أنزله على رسوله محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وقد وصفه الله- تعالى- في القرآن بأوصاف عظيمة بالغة، وسماه الله كتاباً؛ لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ، ومكتوب في الصحف التي بأيدي الملائكة، ومكتوب في الصحف التي بأيدينا.

وقوله تعالى: ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾؛ أي: ليس فيه ريب ولا شك؛ لأنه حق نازل من عند الله، وفي قوله: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾؛ أي: الذين اتقوا عذاب الله عَزَّوَجَلَّ بفعل أوامره، واجتناب نواهيه.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾؛ أي: الذين يؤمنون بما غاب عنهم، لإخبار الله تعالى به ورسوله، ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ أي: يأتون بها قائمة مستقيمة على وفق الشريعة، ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾؛ أي: ينفقون مما رزقهم الله؛ من الزكوات الواجبة، والصدقات المستحبة، والنفقات اللازمة.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾؛ أي: من الكتب المنزلة على الرسل؛ مثل التوراة والإنجيل، والزبور، ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤﴾؛ أي: إيقاناً كاملاً لا مرية فيه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡ﴾؛ أي: على صراط مستقيم وعلم نافع، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾؛ أي: الذين اهتدوا بهداية الله عَزَّوَجَلَّ؛ واتبعوا ما أنزل الله؛ فأصبح مآلهم هو الفلاح؛ والفلاح هو حصول المطلوب والنجاة من المرهوب[1].

❋❋❋

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ

(١) انظر تفسير سورة البقرة ١/ ٢١ . وأحكام من القرآن الكريم ١/ ٤١ .

أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

(البقرة: ٢٥٥).

الشرح:

هذه آية عظيمة، هي أعظم آية في كتاب الله. (سأل النبي ﷺ أبي بن كعب: أي آية في كتاب الله أعظم؟ قال: يا رسول الله، آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾. فضرب النبي ﷺ على صدره، وقال: «**ليهنك العلم أبا المنذر**». وإنما ضرب على صدره لأن الصدر محل القلب، والقلب محل الوعي.

وهذه الآية لها خصائص، منها:

١. أنها أعظم آية في كتاب الله.
٢. أن فيها اسم الله الأعظم (الحي القيوم).
٣. أنها اشتملت على جمل عظيمة، كل جملة تحمل أسفاراً.
٤. أن من قرأها في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح.

جاء ذلك في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استحفظه على زكاة الفطر، فجاء شخص بصورة إنسان فقير، فأخذ من الطعام، فأمسكه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: لأرفعنك إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فادعى هذا الشخص أنه فقير وذو عائلة، فَرَقَّ له أبو هريرة، وتركه. فلما أصبح أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذهب إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال له - أي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما فعل أسيرك البارحة؟**» لأن أبا هريرة أمسكه- أي: أسره-.. قال: يا رسول الله، ادعى أنه فقير وذو عيال فأطلقته. قال: «**إنه كذبك وسيعود**». يقول أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فعلمت أنه سيعود؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: سيعود، فعاد في الليلة الثانية، وصارت الليلة الثانية كالأولى، ولم يأت به أبو هريرة إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أخبره أنه سيعود لم يقل له: إن عاد فأت به. فعلم أبو هريرة أن الأمر واسع، فأطلقه الليلة الثانية.

وفي الليلة الثالثة- والعادة أن الثلاث يثبت بها الأمر- أمسكه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: لابد أن أرفعك إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فقال له الشيطان: ألا أدلك على آية تقرؤها فلا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح؟ قال: بلى. قال: آية

الكرسي ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ فلما أصبح أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أتى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بما جرى، فقال له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أما إنه صدقك وهو كذوب» أي: أخبرك بالصدق، وليس من عادته الصدق، لكن الله تعالى أنطقه به وهو كذوب.

ففي هذا دليل على أن الإنسان إذا قرأ هذه الآية لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان، وليت الناس انتبهوا لهذا واستمروا في قراءتها حتى يكون عليهم من الله حافظ، ولا يقربهم الشيطان حتى يصبحوا.

نعود إلى تفسير كلماتها: يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ أي: لا معبود حق إلا هو، فكل ما عبد من دون الله فهو باطل، لقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ ﴾ (الحج: ٦٢) فمن عبد حجراً أو شجراً أو شمساً أو قمراً أو نبياً أو غيره، فقد عبده بغير حق.

﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ الحي: لم يقل: الله لا إله إلا هو حي قيوم؟ قال: الحي، و«ال» تفيد الكمال والعموم، أي: الكامل الحياة. فهو جَلَّ وَعَلَا حي لا يموت، كما قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ (الفرقان: ٥٨) وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أزلي، أي: لم يزل حياً. حياته

أيضـاً كاملة مـن حيث الصفات، فهو كامل في سـمعه، في بصره، في علمـه، في قدرته، في كل شـيء مـن صفاتـه. إذن فحياته كاملة من جهة الابتداء والانتهاء والصفات. في الابتداء: لا ابتداء له. في الانتهاء: لا نهاية له. في الصفات: كل صفاته كمال.

﴿ٱلْقَيُّومُ﴾: من قام، أي: القائم بنفسـه، القائم على غيره . فهو قائم بنفسه لا يحتاج إلى أحد أبداً؛ لا يحتاج إلى أحد في طعام ولا شـراب ولا غير ذلك، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ (الرعد: ٣٣) يعني: كمن لا يستطيع ذلك؟ من القائم على كل نفس بما كسـبت؟ هو الله عَزَّوَجَلَّ، فهو قائم علـى غيره، كما أنه قائم بنفسه، فلا يحتاج إلى أحد، وكل أحد محتاج إليه.

﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾: لا تأخـذه: أي: لا يمكن أن ينام، ولا أن ينعـس، قـال النبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله لا ينـام، ولا ينبغي له أن ينام**».

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: لـه وحـده، وإنما قلنا وحده لأن «لـه» خبر مقدم، و«ما» مبتـدأ مؤخر. قال العلماء: وتقديم ما حقـه التأخير من خبر أو مفعول أو متعلق يفيد الحصر، فعلى هذا يكون: له، أي: لا لغيره.

﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: ما في السموات من أعيان وأوصاف، ولهذا جاءت ﴿مَا﴾ دون (من) للإفادة أن كل ما في السموات وما في الأرض من أوصاف أو أعيان فهو لله عَزَّوَجَلَّ. والسموات أوسع من الأرض بكثير، وقد أخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أنه ما من موضع أربع أصابع من السماء إلا وفيه ملك قائم لله أو راكع أو ساجد.**

﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ هذا استفهام بمعنى النفي. يعني: لا أحد يشفع عند الله- مهما كانت منزلته عند الله- إلا بإذن الله. حتى الوسطاء الذين يريدون الخير لغيرهم لا يمكن أن يحصل لهم ذلك إلا بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، وذلك لكمال سلطانه وملكوته وعظمته، لا أحد يتكلم حتى فيما فيه خير للغير إلا بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ «ما» موصول يفيد العموم، أي: كل ما بين أيديهم يعلمه الله عَزَّوَجَلَّ، والمراد به الحاضر والمستقبل، فالحاضر بين يديك، والمستقبل بين يديك.

﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ ما مضى، فبعلمه ما مضى لا ينسى، وبعلمه ما يستقبل لا يجهل، كما قال موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين سأله فرعون: ﴿فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ (طه:

٥١-٥٢). إذن ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾: الحاضر والمستقبل. ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾: الماضي، وما شأن علم الإنسان إذا كان علم الله محيط بكل شيء؟

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ لا يحيطون: يعني الخلائق. ﴿بِشَيۡءٖ﴾ أدنى شيء من علمه. ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾؛ أي: إلا بالذي يشاؤه جَلَّجَلَالُهُ، فالله تَبَارَكَوَتَعَالَى هو الذي يعلم من يشاء من عباده من أمور الغيب وأمور الشاهد.

وقوله: ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾؛ أي: إلا بما شاء أن يحيطوا به، فيعلمهم به.

﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾ يعني: أحاط بها، بالسموات والأرض.

والكرسي فسره ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا بأنه موضع القدمين، أي: قدمي الرب عَزَّوَجَلَّ، فهو بالنسبة للعرش كالمقدمة. ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾، وإذا كان الكرسي وسع السموات والأرض، فالعرش من باب أولى، لأن العرش أعظم وأكبر من الكرسي.

﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾ لا يئوده: أي لا يثقله. ﴿حِفۡظُهُمَاۚ﴾ أي: حفظ السموات والأرض. وذلك لسعة علمه وكمال عظمته جَلَّوَعَلَا، فإن ما في السموات وما في الأرض لا يثقل الله سُبۡحَانَهُوَتَعَالَى حفظه، بل



ذلك سهل عليه، يسير عليه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ العلي: من العلو، يعني العالي فوق عباده، العالي المنزلة، فهو عالي المكان عالي المنزلة جَلَّ وَعَلَا.

﴿ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ يعني: ذو العظمة والسلطان وكمال القدرة والحول وما إلى ذلك[1].

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ (البقرة ٢٨٥-٢٨٦).

الشرح:

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾: الرسول: هو محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه لا رسول حين إنزال القرآن إلا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

وهو خاتم الرسل، خاتم الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ (الأحزاب: ٤٠).

(١) انظر تفسير سورة البقرة ٣/ ٢٥٠ . وأحكام من القرآن الكريم ٢/ ٢٤٦ .

﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾: يشمل: ما أنزل إليه من القرآن الكريم، وما أوحي إليه من السنة النبوية، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُ﴾ (النساء: ١١٣).

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾: معطوفة على الرسول، أي: وآمن المؤمنون كذلك بما أنزل على محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

﴿كُلٌّ﴾؛ أي: كل من الرسول و المؤمنين آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله.

﴿ءَامَنَ﴾؛ أي: أقر إقراراً تامًا لا شك فيه ولا ريب فيه، بالله وملائكته وكتبه ورسله. الإيمان بالله يتضمن الإيمان بوجوده، والإيمان بأنه الرب وحده، وبأنه الإله وحده، وبأنه ذو الأسماء الكاملة والصفات الكاملة من كل وجه، فهو يشمل كل هذه الأربعة.

﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾: جمع ملك، وهم - أعني الملائكة- عالم غيبي لا يُشاهَد. اللهم إلا أن يقع ذلك آية يأتي بها الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

وهؤلاء الملائكة لا يحصي عددهم إلا الله. منهم من علمنا، ومنهم من لم نعلم.

فنؤمن بمن علمنا على حسب ما علمنا. ونؤمن بمن لم نعلم على وجه الإجمال.

﴿وَكُتُبِهِۦ﴾؛ يعني: التي أنزلها الله على الرسل، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾ (البقرة: ٢١٣)، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ (الحديد: ٢٥).

الكتب: منها ما علمناه، ومنها ما لم نعلمه. فالتوراة علمنا أن الله أنزلها على موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والإنجيل علمنا أن الله أنزله على عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والزبور آتاه الله داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ آتاه الله صحفاً، وموسى كذلك، وما لم نعلم نؤمن به على سبيل الإجمال.

﴿وَرُسُلِهِۦ﴾: جمع رسول. وهم رجال أوحى الله إليهم بما شاء من شريعته، وأمرهم أن يبلغوه إلى الناس، قال الله تعالى لمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو خاتمهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ (المائدة: ٦٧).

وهم قسمان: قسم علمناهم بأعيانهم وعلمنا أقوامهم، وقسم لم نعلمهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (غافر: ٧٨). فنؤمن بهم على هذا الوجه: على وجه التفصيل فيمن علمناه، وعلى وجه الإجمال فيما لم نعلمه.

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾: معنى لا نفرق، أي: في الإيمان بهم، بل نؤمن بهم جميعاً -وإن كنا نفرق بينهم في التفاضل- فإن الله قال في كتابه العظيم: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (الإسراء: ٥٥)، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (البقرة: ٢٥٣). فنفرق بينهم من هذه الناحية. ونفرق بينهم أيضاً من جهة العمل بشرائعهم، فلا نعمل بشريعة سوى شريعة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن شريعته ناسخة لجميع الشرائع.

﴿وَقَالُوا﴾؛ أي: قال الرسول والمؤمنون.

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾؛ أي: سمعنا ما أمرتنا به يا ربنا، وما أخبرتنا عنه يا ربنا.

وأطعنا أوامرك بامتثال الأوامر واجتناب النواهي.

﴿غُفْرَانَكَ﴾: هـذه مفعول لفعـل محذوف مقـدر. والتقدير: نسألك غفرانك.

ولهـذا ينبغي للقـارئ أن يقف عند قولـه: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ ثم يقول: ﴿غُفْرَانَكَ﴾. لئلا يتوهم السامع أننا أطعنا الغفران.

والمغفرة: سـتر الذنب والتجاوز عنه. سـتر الذنب بحيث لا يُفضَح به العبد. فإن العبد قد يعمل الذنب سـراً ثم يطلع الله عليه الخلق- نسأل الله الستر- كذلك أيضـًا لا يؤاخذ به يوم القيامة.

وجـه هـذا التفسـير- أعني أن الغفران شـامل لمعنيي السـتر والمجـاوزة- أنه مأخوذ مـن المغفر وهو ما يوضـع على الرأس من حديد، يسمى البيضة أو الخوذة، يتقي به الإنسان السهام عند القتـال. وهذا المغفر جامع بين سـتر الرأس وبيـن وقايته، فلهذا قلنا: إن المغفرة ستر الذنب والتجاوز عنه.

وقول الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿رَبَّنَا﴾: منادى حذفت منه ياء النداء. والتقدير: «يا ربنا» . فهو دعاء.

﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾: معطـوف على: سـمعنا وأطعنـا، أو على الفعل المقدر قبل: ﴿غُفْرَانَكَ﴾:

إليـك وحدك المصير. وإنما قلنا «وحدك» لأنه قدم المعمول وهـو: "إليك"؛ على العامل، وهـو: ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾. وتقديم المعمول على عامله يفيد الحصر والاختصاص، والمصير هو المرجع.

ثم قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ الآية.

يخـبر الله عَزَّوَجَلَّ في هـذه الآيـة الكريمة عن بيان منتـه على هذه الأمـة- ولله الحمـد- بـل وعلى غيرها مـن الأمـم، فيقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾؛ أي: لا يلزمها إلا بما تطيق؛ لأن الوسع بمعنى الطاقة. وما لا تطيقه فإنه لن يلزمها به؛ لأن رحمته سـبقت غضبه، ولأنه أرحم بعباده من الوالدة بولدها.

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾: وهـذا هـو العـدل. ما كسـبت من خير فهو لها، لن يضيع، ولن ينقص منه شـيء. وما اكتسـبت من الشـر فعليها، لن يزيد، بل بالعدل. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ (طه: ١١٢).

يقـول عَزَّوَجَلَّ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾؛ أي: يا ربنا لا تؤاخذنا إن نسـينا أو أخطأنا. وهذه فـرد من أفراد قول الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾. يعنـي: أن مـن آثـار كونـه عَزَّوَجَلَّ

لا يكلف نفساً إلا وسعها، أنه لا يؤاخذ بالنسيان والخطأ. وقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ﴾ هذه مقول لقول محذوف. والتقدير: «يقولون ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ﴾ - أي: لا تعاقبنا- ﴿إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾».

يعني: إن وقعت المخالفة منا نسياناً أو خطأً. فالنسيان يكون بعد العلم، والخطأ قبل العلم. النسيان أن يكون عند الإنسان علم ثم يذهل عنه ويغيب عن فكره. والخطأ أن لا يكون عند الإنسان علم، يكون جاهلاً. فالخطأ بمعنى الجهل هنا.

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾: كرر قوله: ﴿رَبَّنَا﴾ لأهمية هذا الدعاء.

قوله: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾ أي: لا تحملنا ولا تكلفنا بالإصر الذي كان على من قبلنا. والإصر: الشدة والمشقة؛ لأن من قبلنا من الأمم عليهم مشقة في بعض التكاليف: مثل: إذا عدموا الماء فإنهم لا يصلون بالتيمم، تبقى الصلوات في ذممهم، ولو بقوا شهراً كاملاً. فإذا وجدوا الماء تطهروا به، ثم قضوا ما فاتهم من الصلوات.

ولا شك أن هذا فيه مشقة. كذلك لا يصلون في كل مكان، إنما يصلون في المساجد الخاصة: الكنائس والبِيَع والصوامع. وهذه

مشقة إذا وجبت عليهم الصلاة في برية، ولو تطهروا بالماء فإنه لا يمكن أن يصلوا إلا في الكنائس ولو بقوا أشهراً، هذه مشقة.

ومن ذلك ما حرمه الله عَزَّوَجَلَّ عليهم من الطيبات بسبب ظلمهم كما قال الله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾﴾ (النساء: ١٦٠).

ومن ذلك ما ابتلي به النصارى من البدع والرهبنة التي لم تفرض عليهم. لكن هم فرضوها على أنفسهم يبتغون رضوان الله. المهم أن المؤمنين من هذه الأمة يسألون الله أن لا يحمل عليهم إصراً كما حمله على الذين من قبلهم من اليهود والنصارى.

﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾: أتى بالواو: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا﴾ عطفاً على قول الله: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾: لأن الثاني من جنس الأول، أو قريب منه.

وقوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾؛ أي: ما لا نستطيعه من الأوامر التي تقع باختيارنا. وأما ما لا يقع باختيار الإنسان من الأمراض وشبهها، فهذا أمر يؤجر الإنسان عليه ويثاب عليه، أو يكون تكفيراً لسيئات مضت.



﴿وَٱعۡفُ عَنَّا﴾: ما قصرنا فيه من الواجب.

﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَا﴾: ما انتهكنا من المحرم.

﴿وَٱرۡحَمۡنَآ﴾: بالتوفيق للاستقامة.

فهذه ثلاث جمل:

- العفو في التفريط بالواجب.
- المغفرة في ارتكاب المعصية.
- الرحمة في استقامة الحال.

﴿أَنتَ مَوۡلَىٰنَا﴾؛ أي: أنت الذي تتولى أمورنا، وأنت مرجعنا، وأنت ناصرنا، كما قال الله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٤٠﴾ (الأنفال: ٤٠)

﴿فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ يعني: اجعل لنا الغلبة والنصرة على القوم الكافرين. إما بالآلات الحربية، وإما بالأدلة الشرعية. هذه الآية من أفضل الآيات وأيسرها(١).

❊❊❊

(١) انظر تفسير سورة البقرة ٣/ ٤٤١. وأحكام من القرآن الكريم ٢/ ٣٦٤

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٣﴾ (غافر: ١ – ٣).

الشرح:

قوله: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ المراد بالكتاب هنا القرآن، مع أن الكتاب اسم جنس يحتمل أن تكون فيه أل للجنس فيشمل كل كتاب، ولكن الظاهر أن المراد بالكتاب هنا القرآن؛ لأن المقصود بذلك تقرير كون هذا القرآن الذي نزل على المكذبين من عند الله عَزَّوَجَلَّ.

وقوله ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي تنزيل الكتاب من الله لا من غيره.

وقوله ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ أي: ذو العزة، وعزة الله تنقسم إلى ثلاثة أقسام: عزة القدر وعزة القهر وعزة الامتناع، وهو كذلك في كل موضع جاء العزيز فهذا هو معناه، أي أنه ذو عزة، أما عزة القدر فمعناها أنه ذو شرف وسيادة، وأما عزة القهر فمعناها أنه ذو غلبة وسلطان، وأما عزة الامتناع فمعناه أنه ذو امتناع عن كل نقص وعيب

وقوله ﴿ٱلۡعَلِيمِ﴾ أي: ذو العلم، وعلم الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ليس بمحدود لا أولاً، ولا آخراً، ولا مقداراً، فعلم الله تعالى واسع

شامل لكل شيء، علم الله تعالى أزلي؛ أي: لم يسبقه جهل، علم الله تعالى أبدي؛ أي: لا يلحقه نسيان، فصار علم الله تعالى واسعًا شاملاً زمنًا وكيفًا، زمنًا أي: في المستقبل وفي الماضي، وكيفًا أي: أنه شامل لكل ما من شأنه أن يعلم.

وقوله ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ الغفر هو الستر مع الوقاية، ومنه المغفر: وهو ما يوضع على الرأس عند الحرب لاتقاء السهام، ومعلوم أن المغفر ساتر، فهو جامع بين الستر والوقاية، و﴿ٱلذَّنۢبِ﴾: المعصية، يقال: أذنب الرجل إذا عصى، ومعنى ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾؛ أي: ساتره المتجاوز عنه.

وقوله ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ قابله: معناها: أن من تاب إلى الله قَبِلَ الله توبته، و﴿ٱلتَّوۡبِ﴾ بمعنى: الرجوع إلى الله عَزَّوَجَلَّ من معصيته إلى طاعته.

وقوله: ﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ أي: أنه هو نفسه عقابه شديد وهو كذلك، فإذا كان العقاب شديداً لزم أن يكون الألم - ألم من عوقب - شديداً أيضًا، والعقاب مأخوذ من المعاقبة وهي المجازاة، وسميت المجازاة عقابًا؛ لأنها تعقب العمل، لكنها تذكر غالبًا فيما يسوء لا فيما يسر.

وقوله ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾ ذي: بمعنى صاحب، والطول هو الغنى الواسع، ومن تمام الغنى أن يكون منعماً، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مُنعِم واسع الغنى.

وقوله ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ سبق معناها في آية الكرسي.

وقوله ﴿إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ الجملة خبرية مكونة من مبتدأ وخبر، والخبر فيها مقدم، وإذا قدم الخبر أفاد التخصيص والحصر؛ ﴿إِلَيْهِ﴾ أي: إلى الله وحده، ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع، وهل المراد بقوله: «إليه المصير» أي المرجع في كل شيء أو ﴿إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ بعد الموت؟ الجواب ﴿إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ في كل شيء، فإليه المرجع في الحكم بين الناس، إليه المرجع في تدبير الأمور، إليه المرجع بعد الموت، إليه المرجع في كل شيء، ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: ٣][1].

❊❊❊

(١) انظر تفسير سورة غافر ص ٣٩.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ (الحشر ٢٢-٢٤).

الشرح:

قوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ سبق معناها في آية الكرسي.

قوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ المراد به الغيب المطلق؛ لأن الغيب نوعان: غيب نسبي وغيب مطلق، والغيب: كل ما غاب عن الإنسان

فالغيب المطلق يختص الله بعلمه، والغيب النسبي يختص بعلمه من لم يكن غيباً عنده.

فمثلا: أنت الآن لك أشغال في نفسك، فهي بالنسبة لي غيب، وبالنسبة لك شهادة، والغيب الذي اختص الله به هو الغيب المطلق، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

فمن ادعى أنه يعلم الغيب فهو كافر؛ لأنه مكذب لله عَزَّوَجَلَّ في قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

فلـو قال مثلاً: سـيكون غداً كـذا وكذا، قلنا: هـذا كافر؛ فهذا كافـر إذا قـال: أنا أعلم ما يكون في غدٍ، أمـا إذا قال: أنا أتخرص، وبنـاءً على الحوادث والمجريات أقول: سـيكون غداً كذا وكذا، فهـل هذا ادعى علم الغيب؟ لا، ولو قال: سـيقدم فلان غداً، بناءً على ماجرى من الأحوال، فهذا ليس علم الغيب، لكن لو قال: أنا أجزم أن سـيكون كذا وكذا غداً، وأعلم ذلك كما أعلم الحاضر، قلنا: هذا كذب وهذا تكذيب للقرآن.

قولـه: ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أيضـاً يعلم عَزَّوَجَلَّ الشـهادة، فلا يخفى عليه شيء، لا مشاهد ولا غائب.

قوله: ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ الرحمن اسم من أسماء الله، والرحيم كذلك اسـم من أسـماء الله، فهذان اسـمان عظيمان ختمت بهما البسملة: بسم الله الرحمن الرحيم، ومعناهما: ذو الرحمة.

لكن الأول باعتبارها وصفـاً، والثاني باعتبارها فعلاً؛ وذلك أن رحمة الله وصف وفعل، فهو ذو رحمة وهو يرحم، قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهـف: ٥٨]، وقـال تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾ [العنكبـوت: ٢١]. وبناءً علـى هذا فليس في ذلك تكرار،

يعنـي إذا قلنا: الرحمة الدال عليها الرحمـن هي رحمة باعتبارها وصفـًا، والرحمة الدال عليها الرحيم هي رحمة باعتبارها فعلاً، حينئذٍ نقول ليس في الجمع بين هذين الاسمين تكرار.

فالرحمة صفة ذاتية لله عَزَّوَجَلَّ باعتبارها وصفـًا لله تعالى، ومعنى «صفة ذاتية» أي: أنها من الصفات اللازمة أبداً وأزلاً، فهو لم يزل ولا يـزال رحيمـًا، وهي باعتبار تعلقها بالمرحوم صفة فعلية؛ لأن الله تعالـى يرحم فلانـًا ولا يرحم فلانـًا، وكل شـيء يكون كذلك فهو من الصفات الفعلية.

إذن الرحمة صفة ذاتيه لله عَزَّوَجَلَّ بإعتبارها وصفـًا وفعليه باعتبار تعلقها بالمرحوم.

قولـه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ تأكيـد للجملة الأولى ﴿ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

قولـه ﴿ٱلْمَلِكُ﴾ أي: ذو الملـك المتضمـن للسـيطرة الكاملـة والسـلطان التام ولهذا كان الملك أقـوى من المالك والأصل في الملك أن يكون مالكـًا، لكن قد يكون ملكـًا بلا ملك، أما المالك فهو مالك لكن ليس بملك.

قولـه ﴿ٱلۡقُدُّوسُ﴾ معناه: الطاهر من كل أذى عَزَّوَجَلَّ فهو سـبحانه الطاهر عن كل عيب وكل نقص، وهو بمعنى ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ أو القريب منه.

قوله ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ يعني السـالم من كل نقـص حقيقي ،أو متوقع أو وهمي يعني سالم من كل نقص لا في الحاضر، ولا في الغائب، ولهذا كان أخص من ﴿ٱلۡقُدُّوسُ﴾، وكان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يقولون في التشـهد: (السلام على الله من عباده، السلام على جبريل، السلام على ميكائيل، السـلام على كـذا وكذا وفلان وفـلان فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تقولوا السلام على الله من عباده؛ لأن الله هو السلام». وأنت إذا قلت: السلام على الله ، فمعناه أن الله قد يعتريه النقص، وهذا مستحيل، ولهذا لو قال إنسان: السلام على الله قلنا: لا تقل هكذا، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن الله هو السلام.

قوله ﴿ٱلۡمُؤۡمِنُ﴾: لها معنيان:

الأول: أنـه يؤمن من عذابه من لا يسـتحق العـذاب، فمؤمن بمعنى مُؤَمِن.

الثاني: المؤمن المصدق لرسله قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ [يوسـف: ١٧]، أي بمصـدق، وهـذان الوصفـان كلاهما حق لله

تعالـى فهو تعالى يؤمن من شـاء من عبـاده وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: مؤمن بالحـق مصدق به، مؤمن برسـله، ومؤمن بكل حق عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الله تعالى يقر الحق ويبطل الباطل.

قولـه ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾: أي: ذو السـيطرة والحكـم على كل من عاداه، فهو مهيمن على كل شـيء يفعل ما يشـاء ويحكم ما يريد، ومـن ذلك قوله تعالـى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائـدة: ٤٨]، ولهـذا كان كتـاب الله عَزَّوَجَلَّ القرآن ناسخـًا لكل ماسبقه من الكتب.

قوله ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: سبق معنى العزيز(١).

قولـة ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾: الجبـار صيغـة مبالغة من الجـبر، والجبر له ثلاثة معـان: جبر بمعنى الجـبروت، وجبر بمعنى جبر الكسـير، وجبر بمعنى العلو.

فالأول: من الجبروت وهو القوة والعظمة وما أشبة ذلك.

والثاني: من جبر الكسـير، فكم من كسـير جـبره الله عَزَّوَجَلَّ فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جبار لكل كسر.

---

(١) انظر ص ٢٠ .

والثالث: من العلو، وهذا المعنى قد يكون غريبًا، إذ كيف يكون الجبر من العلو؟

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النونية: إنه مأخوذ من قولهم للنخلة الطويلة: هذه نخلة جبارة، أي طويلة، والعلو لا شك أنه من صفات الله، وإذا كان قد ثبت أنه من صفات الله، وكان للجبر الذي بمعنى العلو أصل في اللغة، فلا مانع من أن نقول: إن الجبار تشمل ثلاثة معانٍ: الجبروت، وجبر الكسير، والعلو.

و﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ من أسماء الله تعالى، وهي صفة كمال بالنسبة لله، وصفة نقص بالنسبة للعبد.

قوله ﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾: يعني: ذو الكبرياء، وليس المعنى مصطنع الكبر، لأن «تكبر» يحتمل أن يكون بمعنى الاصطناع، أي اصطناع الكبر، ويحتمل أن تكون: وصفه الكبرياء، والثاني هو المراد، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ متكبر أي: له الكبرياء كما قال الله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٧] وهذا الوصف بالنسبة لله حق، لكن بالنسبة للمخلوق باطل، لأن المخلوق أذل وأقل وأضعف من أن يتكبر، ولهذا قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر**» فالكبرياء لله

عَزَّوَجَلَّ، وأما المخلوق فليس له كبرياء.

قوله ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ أي: أنك تنزه الله عَزَّوَجَلَّ عن كل ما لا يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

و ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي عما يشركون به من الأصنام فهو عال عليها عَزَّوَجَلَّ، منزه عن أن يكون مثلها.

قوله ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ﴾: الخالق: من اتصف بالخلق، وهو الإيجاد بعد العدم، والإيجاد بعد العدم يسمى خلقًا، وهذا الوصف من خصائصه عَزَّوَجَلَّ فلا خالق إلا الله. وأما ما جاء في الحديث «**أحيوا ما خلقتم**» فإن الخلق المضاف إلى المخلوق ليس معناه إيجاد بعد العدم، ولكنه بمعنى تغيير وتحويل، فمثلاً الصانع يحول صفائح الحديد إلى قدور وأوانٍ، فيقال: خلقها قدراً، وخلقها آنية، لكنه ليس هو الخلق المختص بالله تعالى وهو الإيجاد بعد العدم، فلا يستطيع أحد أن يقلب حقيقة بعض الأشياء إلى حقيقة البعض الآخر أبداً، ولا أن يوجد شيئًا من العدم، لكن يمكن للمخلوق أن يحول شيئًا من صفة إلى صفة أخرى، فالخلق المضاف إلى المخلوق هو بمعنى التغيير أو التحويل، وليس معناه التبديل، بل ذلك إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله ﴿ٱلْبَارِئُ﴾: أي: الخالق على غير مثال سبق؛ لأن الخلق قد يكون على مثال سابق، وقد يكون على مثال غير سابق، أما البارئ فهو الذي يخلق على غير مثال سبق، أي: ليس يخلق خلقاً يقلد غيره مثلاً، أو يعيد خالقاً آخر، بل هو خالق خلقاً ابتداءً وخلقاً ثانياً.

قوله ﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾: يعني: جاعل الشيء على صورة معينة، وهذا -أيضاً- لا يقدر عليه إلا الله، فالذي صور بني آدم على هذا الشكل، وصور البعير على هذا الشكل، وصور الفرس على هذا الشكل، وهلم جراً، هو الله تعالى، فالله تعالى هو المصور قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٦]، ولهذا لا يستطيع أحد أن يجعل القصير طويلاً، ولا الطويل قصيراً، نعم يمكن أن يجعل الطويل قصيراً إذا قطع رأسه ولكن إذا قطع رأسه انتهى، أما أن يقصره في خلقته فلا يمكن، فالمصور هو الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: له خبر مقدم، والأسماء مبتدأ مؤخر، وتقديم الخبر يدل على الحصر، يعني: له لا لغيره.

وقوله ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: يدل على أن جميع أسمائه حسنى، وحسنى: اسم تفضيل، مذكره أحسن، أي: الحسنى التي ليس

فوقها شيء في الحسن، أما غير الله فأسماؤه قد تكون حسنى، وقد تكون غير حسنى، وقد لا يكون لها معنى، لكن أسماء الله كلها حسنى.

قوله ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: يسبح: هذه جملة فعلية، فعلها مضارع تدل على الإستمرار، لأن «سبح» للماضي، و«سبّحْ» للمستقبل، و«يسبح» للحال، وقد تكون للاستقبال وجوبًا، مثلما إذا اقترنت بها السين وسوف، وقد تكون للماضي وجوبًا، مثل أن تقترن بها (لم) الدالة على المضي، وقد تكون صالحة للجميع حسب السياق.

وهنا: ﴿يُسَبِّحُ﴾ هل هو تسبيح انقضى، أو مازال ولا يزال؟

والجواب: ما زال ولا يزال.

وقوله: ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ﴿مَا﴾: اسم موصول، واسم الموصول من صيغ العموم، فهل هذا مطابق للواقع وأن الله يسبح له مافي السموت والارض؟

الجواب: لا . لكن يقال: التسبيح نوعان، تسبيح بلسان الحال، وتسبيح بلسان المقال، أما التسبيح بلسان الحال فهو عام، كل ما في السموات فهو يسبح لله بالسان الحال، ومعنى قولنا: بلسان

الحال، أي: أن حاله تدل على تسبيح الله . فالكافر مثلاً: يسبح الله بلسان الحال،لأن خلقته وما فيها من الإبداع والنظام العجيب الغريب تسبيح لله، ولأن صرفة عن الهداية إلى الشقاء أيضاً تسبيح لله، يدل على كمال الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه جَلَّوَعَلَا يريد أن تتم كلمته، فجعل الناس مؤمناً وكافراً .

إذن: الكافر يسبح بلسان الحال، أما بلسان المقال فلا، لأنه يشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، ويصرح بأن الله له شريك، وهلم جراً .

والجمادات تسبح لله بلسان الحال والمقال؛ والإنسان المؤمن يسبح الله بلسان الحال والمقال، فصار كل ما في السماوات والأرض يسبح الله بلسان الحال والمقال، إلا الكافر فإنه يسبح الله بلسان الحال، لا بلسان المقال.

وقوله ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾: سبق معنى العزيز[١].

وأما ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ فمادتها ح ك م، وهذه المادة تدل على معنيين: حُكم، وإحكام، والإحكام يعني: الإتقان وهو أن يكون الشيء مطابقاً للحكمة تماماً فينزل منزلته

(١) انظر ص٢٠.

فتبين أن ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ اسـم من أسماء الله تعالى مشتق من الحكم والإحكام الذي هو الإتقان[1].

❊❊❊

﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١﴾ ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾ (السورة كاملة ثلاث مرات).

الشرح:

ذكر في سبب نزول سورة الإخلاص: أن المشركين أو اليهود قالوا للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: صف لنا ربك؟ فأنزل الله هذه السورة.

﴿قُلۡ﴾ الخطاب للرسـول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وللأمة أيضـًا و﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن عند المعربين.

ولفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾ هو خبر المبتدأ و﴿أَحَدٌ﴾ خبر ثان.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ جملة مستقلة.

﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي هـو الله الـذي تتحدثـون عنـه وتسـألون عنه ﴿أَحَدٌ﴾ أي: متوحـد بجلالـه وعظمته، ليس لـه مثيل، وليس له شريك، بل هو متفرد بالجلال والعظمة عَزَّوَجَلَّ.

(١) انظر شرح عقيدة أهل السنة والجماعة ص ٨٦ .

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ جملة مستقلة، بين الله تعالى أنه ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ أجمع ما قيل في معناه: أنه الكامل في صفاته، الذي افتقرت إليه جميع مخلوقاته.

فقد روي عن ابن عباس أن الصمد هو الكامل في علمه، الكامل في حلمه، الكامل في عزته، الكامل في قدرته، إلى آخر ما ذكر في الأثر. وهذا يعني أنه مستغنٍ عن جميع المخلوقات لأنه كامل، وورد أيضاً في تفسيرها أن الصمد هو الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها، وهذا يعني أن جميع المخلوقات مفتقرة إليه، وعلى هذا فيكون المعنى الجامع للصمد هو: الكامل في صفاته الذي افتقرت إليه جميع مخلوقاته. ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لأنه جَلَّ وَعَلَا لا مثيل له، والولد مشتق من والده وجزء منه كما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «**إنها بَضْعَةٌ مني**»، والله جَلَّ وَعَلَا لا مثيل له، ثم إن الولد إنما يكون للحاجة إليه إما في المعونة على مكابدة الدنيا، وإما في الحاجة إلى بقاء النسل.

والله عَزَّ وَجَلَّ مستغنٍ عن ذلك. فلهذا لم يلد لأنه لا مثيل له؛ ولأنه مستغنٍ عن كل أحد عَزَّ وَجَلَّ. وقد أشار الله عَزَّ وَجَلَّ إلى امتناع ولادته أيضاً في قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام: ١٠١].

فالولد يحتاج إلى صاحبة تلده، وكذلك هو خالق كل شيء، فإذا كان خالق كل شيء فكل شيء منفصل عنه بائن منه.

وفي قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ رد على ثلاث طوائف منحرفة من بني آدم، وهم: المشركون، واليهود، والنصارى، لأن المشركين جعلوا الملائكة الذين هم عبادالرحمن إناثًا، وقالوا: إن الملائكة بنات الله. واليهود قالوا: عزير ابن الله. والنصارى قالوا: المسيح ابن الله. فكذبهم الله بقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾ لأنه عَزَّوَجَلَّ هو الأول الذي ليس قبله شيء، فكيف يكون مولوداً؟!

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ أي لم يكن له أحد مساويًا في جميع صفاته، فنفى الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ عن نفسه أن يكون والداً، أو مولوداً، أو له مثيل، وهذه السورة لها فضل عظيم .

قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إنها تعدل ثلث القرآن**»، لكنها تعدله ولا تقوم مقامه، فهي تعدل ثلث القرآن لكن لا تقوم مقام ثلث القرآن. بدليل أن الإنسان لو كررها في الصلاة الفريضة ثلاث مرات لم تكفه عن الفاتحة، مع أنه إذا قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن

كله، لكنها لا تجزىء عنه، ولا تستغرب أن يكون الشيء معادلاً للشيء ولا يجزىء عنه.

فها هو النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أخبر أن من قال: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، فكأنما أعتق أربعة أنفس من بني إسماعيل، أو من ولد إسماعيل**»، ومع ذلك لو كان عليه رقبة كفارة، وقال هذا الذكر، لم يكفه عن الكفارة فلا يلزم من معادلة الشيء للشيء أن يكون قائماً مقامه في الإجزاء.

هذه السورة كان الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقرأ بها في الركعة الثانية في سنة الفجر، وفي سنة المغرب، وفي ركعتي الطواف، وكذلك يقرأ بها في الوتر، لأنها مبنية على الإخلاص التام لله، ولهذا تسمى سورة الإخلاص[1].

❊❊❊

(١) انظر تفسير جزء عم ص ٣٤٩ . وشرح رياض الصالحين ٤/ ٦٧٠، ٥/ ٥٤٣. وفتح ذي الجلال والإكرام ١٥/ ٥٢١.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾.

الشرح:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ رب الفلق هو الله، والفلق: الإصباح.

ويجوز أن يكون أعم من ذلك أن الفلق كل ما يفلقه الله تعالى من الإصباح، والنوى، والحب. كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥]. وقال: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أي من شر جميع المخلوقات ومنه النفس، لأن النفس أمارة بالسوء، فإذا قلت من شر ما خلق فأول ما يدخل فيه نفسك، كما جاء في خطبة الحاجة «**نعوذ بالله من شرور أنفسنا**»، وقوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ يشمل شياطين الإنس والجن والهوام وغير ذلك.

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ الغاسق قيل: إنه الليل. وقيل: إنه القمر، والصحيح إنه عام لهذا وهذا، أما كونه الليل، فلأن الله تعالى قال: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨].



والليل تكثر فيه الهوام والوحوش، فلذلك استعاذ من شر الغاسق أي: الليل.

وأما القمر فقد جاء في الحديث عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرى عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا القمر. وقال: «**هذا هو الغاسق**»، وإنما كان غاسقًا لأن سلطانه يكون في الليل.

وقوله: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ هو معطوف على ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ من باب عطف الخاص على العام، لأن الغاسق من مخلوقات الله عَزَّوَجَلَّ.

وقوله: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ أي: إذا دخل. فالليل إذا دخل بظلامه غاسق، وكذلك القمر إذا أضاء بنوره فإنه غاسق، ولا يكون ذلك إلا بالليل.

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ﴾ هن الساحرات. يعقدن الحبال وغيرها، وتنفث بقراءة مطلسمة فيها أسماء الشياطين على كل عقدة تعقد ثم تنفث، تعقد ثم تنفث، تعقد ثم تنفث، وهي بنفسها الخبيثة تريد شخصًا معينًا، فيؤثر هذا السحر بالنسبة للمسحور.

وذكر الله النفاثات دون النفاثين؛ لأن الغالب أن الذي يستعمل هذا النوع من السحر هن النساء، فلهذا قال: ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ﴾ ويحتمل أن يقال: إن النفاثات يعني الأنفس النفاثات فيشمل الرجال والنساء.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥﴾ الحاسد هو الذي يكره نعمة الله على غيره، فتجده يضيق ذرعاً إذا أنعم الله على هذا الإنسان بمال، أو جاه، أو علم أو غير ذلك. فيحسده ولكن الحسّاد نوعان: نوع يحسد ويكره في قلبه نعمة الله على غيره، لكن لا يتعرض للمحسود بشيء، تجده مهموماً مغموماً من نعم الله على غيره، لكنه لا يعتدي على صاحبه.

والشر والبلاء إنما هو بالحاسد إذا حسد. ولهذا قال: ﴿إِذَا حَسَدَ﴾. ومن حسد الحاسد العين التي تصيب الُمعان يكون هذا الرجل عنده كراهة لنعم الله على الغير فإذا أحس بنفسه أن الله أنعم على فلان بنعمة خرج من نفسه الخبيثة (معنى) لا نستطيع أن نصفه لأنه مجهول، فيصيب بالعين، ومن تسلط عليه أحياناً يموت، وأحياناً يمرض، وأحياناً يُجن، حتى الحاسد يتسلط على

الحديد فيوقف اشتغاله، وربما يصيب السيارة بالعين وتنكسر أو تتعطل، وربما يصيب رفَّاعة الماء، أو حراثة الأرض، فالعين حق تصيب بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، وذكر الله عَزَّوَجَلَّ الغاسق إذا وقب، والنفاثات في العقد، والحاسد إذا حسد؛ لأن البلاء كله في هذه الأحوال الثلاثة يكون خفيًّا. الليل ستر وغشاء.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾ [الليل: ١]. يكمن به الشر ولا يعلم به.

﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤﴾ أيضـًا السحر خفي لا يعلم.

﴿حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ العائن أيضـًا خفي تأتي العين من شخص تظن أنه من أحب الناس إليك وأنت من أحب الناس إليه ومع ذلك يصيبك بالعين. لهذا السبب خص الله هذه الأمور الثلاثة. الغاسق إذا وقب، والنفاثات في العقد، والحاسد إذا حسد، وإلا فهي داخلة في قوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾.

فإذا قال قائل: ما هو الطريق للتخلص من هذه الشرور الثلاثة؟

قلنا: الطريق للتخلص أن يعلق الإنسان قلبه بربه، ويفوض أمره إليه، ويحقق التوكل على الله، ويستعمل الأوراد الشرعية التي بها يحصن نفسه ويحفظها من شر هؤلاء، وما كثر الأمر في



الناس في الآونة الأخير من السحرة والحساد وما أشبه ذلك إلا من أجل غفلتهم عن الله، وضعف توكلهم على الله عَزَّوَجَلَّ، وقلة استعمالهم للأوراد الشرعية التي بها يتحصنون، وإلا فنحن نعلم أن الأوراد الشرعية حصن منيع، أشد من سد يأجوج ومأجوج.

لكن مع الأسف أن كثيرًا من الناس لا يعرف عن هذه الأوراد شيئًا، ومن عرف فقد يغفل كثيراً، ومن قرأها فقلبه غير حاضر، وكل هذا نقص، ولو أن الناس استعملوا الأوراد على ما جاءت به الشريعة لسلموا من شرور كثيرة، نسأل الله العافية والسلامة(١).

❋❋❋

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾.

الشرح:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ وهو الله عَزَّوَجَلَّ، وهو رب الناس وغيرهم،

(١) انظر تفسير جزء عم ص٣٥٢ . وشرح رياض الصالحين ٤/ ٦٧٠، ٥/ ٥٤٣. وفتح ذي الجلال والإكرام ١٥/ ٥٢١.

رب الناس، ورب الملائكة، ورب الجن، ورب السموات، ورب الأرض، ورب الشمس، ورب القمر، ورب كل شيء، لكن للمناسبة خص الناس.

﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ أي الملك الذي له السلطة العليا في الناس، والتصرف الكامل هو الله عَزَّوَجَلَّ.

﴿إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ أي مألوههم ومعبودهم، فالمعبود حقًّا الذي تألهه القلوب وتحبه وتعظمه هو الله عَزَّوَجَلَّ.

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ قال العلماء: إنها مصدر يراد به اسم الفاعل أي: الموسوس.

والوسوسة هي: ما يلقى في القلب من الأفكار والأوهام والتخيلات التي لا حقيقة لها. ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ الذي يخنس وينهزم ويولي ويدبر عند ذكر الله عَزَّوَجَلَّ وهو الشيطان.

ولهذا إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان له ضراط حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضي النداء أقبل حتى إذا ثوب للصلاة أدبر، حتى إذا قضي التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه، يقول: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى .

ولهـذا جـاء في الأثـر: «**إذا تغولت الغيـلان فبادروا بـالأذان**»، والغيلان هي الشياطين التي تتخيل للمسافر في سفره وكأنها أشياء مهولة، أو عدو أو ما أشبه ذلك فإذا كبر الإنسان انصرفت.

وقولـه: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ أي أن الوسـاوس تكون من الجن، وتكون من بني آدم، أما وسوسـة الجن فظاهر لأنه يجري مـن ابن آدم مجـرى الدم، وأما وسوسـة بني آدم فمـا أكثر الذين يأتون إلى الإنسان يوحون إليه بالشر، ويزينونه في قلبه حتى يأخذ هذا الكلام بلبه وينصرف إليه..

إذن هذه السـور الثلاث الإخلاص والفلق والناس من أذكار الصباح والمساء كما في حديث عبد الله بن خبيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمـره أن يقـرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ في الصبـاح والمسـاء ثلاث مرات وبين أن هذا يكفيه كل شيء[1].

❊❊❊

(١) انظر تفسير جزء عم ص ٣٥٥ . وشرح رياض الصالحين ٤/ ٦٧٠ ، ٥/ ٥٤٣ . وفتح ذي الجلال والإكرام ١٥/ ٥٢١ .



أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق (ثلاث مرات).

الشرح:

قوله: «أعوذ» بمعنى: ألتجئ وأعتصم.

وقوله: «بكلمات»: "كلمات" جمع قلة دال على الكثرة لوجود الدليل، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ (الكهف: ١٠٩). وأبلغ من هذا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ (لقمان:٢٧). والمراد بالكلمات هنا: الكلمات الكونية والشرعية.

وقوله: (أعوذ بكلمات الله). هنا استعاذة بالكلمات، ولم يستعذ بالله، فلماذا؟ أجيب: أن كلمات الله صفة من صفاته، ولهذا استدل العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ بهذا الحديث على أن كلام الله من صفاته غير مخلوق، لأن الاستعاذة بالمخلوق لا تجوز في مثل هذا الأمر، ولو كانت الكلمات مخلوقة ما أرشد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الاستعاذة بها. وفي الحديث: «أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر» وهنا استعاذ بعزة الله وقدرته، ولم يستعذ بالله،

والعـزة والقـدرة من صفـات الله، وهي ليسـت مخلوقـة. ولهذا يجوز القسم بالله وبصفاته، لأنها غير مخلوقة.

أما القسـم بالآيات، فإن أراد الآيات الشرعية، فجائز، وإن أراد الآيات الكونية، فغير جائز. أما الاستعاذة بالمخلوق، ففيها تفصيل، فإن كان المخلوق لا يقدر عليه، فهي من الشرك، قال شيخ الإسلام ابـن تيمية: «لا يجوز الاسـتعاذة بالمخلوق عند أحـد من الأئمة»، وهذا ليس على إطلاقه، بل مرادهم مما لا يقدر عليه إلا الله، لأنه لا يعصمك من الشر الذي لا يقدر عليه إلا الله، سوى الله.

ومن ذلك أيضـًا الاستعاذة بأصحاب القبور، فإنهم لا ينفعون ولا يضرون، فالاسـتعاذة بهم شـرك أكبر، سواء كان عند قبورهم أم بعيداً عنهم.

أما الاسـتعاذة بمخلـوق فيما يقـدر عليه، فهـي جائزة، وهو مقتضـى الأحاديـث الـواردة في «صحيح مسـلم» لما ذكـر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفتن، قال: «**فمن وجد من ذلك ملجأ، فليعذ به**».

وكذلـك قصـة المرأة التـي عاذت بأم سـلمة والغـلام الذي عـاذ بالنبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكذلك في قصة الذين يسـتعيذون بالحرم والكعبة وما أشبه ذلك.

وهذا هو مقتضى النظر، فإذا اعترضني قطاع طريق، فعذت بإنسان يستطيع أن يخلصني منهم، فلا شيء فيه. لكن تعليق القلب بالمخلوق لا شك أنه من الشرك، فإذا علقت قلبك ورجاءك وخوفك وجميع أمورك بشخص معين، وجعلته ملجأً فهذا شرك، لأن هذا لا يكون إلا لله.

وقوله: «التامات»: تمام الكلام بأمرين:

١. الصدق في الأخبار.
٢. العدل في الأحكام.

قال الله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

وقوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾: أي: من شر الذي خلق، لأن الله خلق كل شيء: الخير والشر، ولكن الشر لا ينسب إليه، لأنه خلق الشر لحكمة، فعاد بهذه الحكمة خيراً، فكان خيراً.

وعلى هذا نقول: الشر ليس في فعل الله، بل في مفعولاته، أي: مخلوقاته. وعلى هذا تكون «ما» موصولة لا غير، أي: من شر الذي خلق، لأنك لو أولتها إلى المصدرية وقلت: من شر خلقك، لكان الخلق هنا مصدراً يجوز أن يراد به الفعل، ويجوز أيضاً المفعول، لكن لو جعلتها اسماً موصولاً تعين أن يكون

المراد بها المفعول، وهو المخلوق.

وليس كل ما خلق الله فيه شر، لكن تستعيذ من شره إن كان فيه شر، لأن مخلوقات الله تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي:

١. شر محض، كالنار وإبليس باعتبار ذاتيهما، أما باعتبار الحكمة التي خلقهما الله من أجلها، فهي خير

٢. خير محض كالجنة، والرسل، والملائكة.

٣. فيه شر وخير، كالإنس، والجن، والحيوان.

وأنت إنما تستعيذ من شر ما فيه شر.

فالمهم أن هذا الذكر لجوء إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى واعتصام به من شر ماخلق، فإذا قلته ثلاث مرات في الصباح والمساء فإنه لا يضرك شيء كما أخبر بذلك الصادق المصدوق، لكن إن تخلف، فهو لوجود مانع لا لقصور السبب أو تخلف الخبر.

ونظير ذلك كل ما أخبر به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأسباب الشرعية إذا فعلت ولم يحصل المسبب، فليس ذلك لخلل في السبب، ولكن لوجود مانع، مثل: قراءة الفاتحة على المرضى شفاء، ويقرأها بعض الناس ولا يشفى المريض، وليس ذلك قصوراً في السبب، بل لوجود مانع بين السبب وأثره.

ومنه: التسمية عند الجماع، فإنها تمنع ضرر الشيطان للولد وقد توجد التسمية ويضر الشيطان الولد، لوجود مانع يمنع من حصول أثر هذا السبب، فعليك أن تفتش ما هو المانع حتى تزيله فيحصل لك أثر السبب.

قال القرطبي: وقد جربت ذلك، حتى إني نسيت ذات يوم، فدخلت منزلي ولم أقل ذلك، فلدغتني عقرب[1].

❊❊❊

بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم (ثلاث مرات).

الشرح:

هذه الكلمات كلمات يسيرة لكن فائدتها عظيمة «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم» لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بيده ملكوت السماوات والأرض، واسمه مبارك إذا ذكر على الشيء، ولهذا يسن ذكر الله تعالى بالتسمية على الأكل، إذا أردت أن تأكل تقول: «بسم الله»

(١) انظر شرح رياض الصالحين ٥/ ٥٣٩ . والقول المفيد على كتاب التوحيد ١/ ٢٥٢ .



إذا أردت أن تشرب تقول: «بسم الله» إذا أردت أن تأتي أهلك تقول: «بسم الله» فالتسمية مشروعة في أماكن كثيرة، ولكنها على القول الراجح على الأكل والشرب واجبة.

يجب على الإنسان إذا أراد أن يأكل أن يقول: «بسم الله» وإذا أراد أن يشرب أن يقول: «بسم الله» لأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك، ولأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر أن من لم يسم الله على أكله شاركه الشيطان في ذلك، فلا تنسَ أن تقول في كل مساء وفي كل صباح «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم» ثلاث مرات.

وقوله: «وهو السميع العليم» فالسميع من أسماء الله، والعليم من أسماء الله، فالسميع من أسماء الله تعالى ولها معنيان:

الأول: السمع الذي هو إدراك كل صوت، فالله تعالى لا يخفى عليه شيء، كل صوت فالله يسمعه مهما بعد ومهما ضعف، لما أنزل الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ [المجادلة: ١] وهي امرأة جاءت تشتكي إلى الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تقول: إن زوجها ظاهر منها، يعني قال لها: أنت علي كظهر أمي .

وهذا القول يعد في الجاهلية طلاقًا بائنًا مثل الطلاق بالثلاث وهو كذب ومنكر، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا﴾ [المجادلة: ٢] فجاءت تشتكي إلى الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأنزل الله هذه الآية ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، والله لقد جاءت المجادلة إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تكلمه وإني لفي الحجرة، ويخفى عليَ بعض حديثها، والله تعالى من فوق سبع سماوات يسمع كلامهما. فالله تعالى يسمع كلامك وإن خَفَتَ «ضعف» ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٨٠] فإياك أن تسمع الله عَزَّ وَجَلَّ كلامًا لا يرضاه منك، واحرص على أن تسمع الله ما يرضاه منك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومن معاني السميع: أنه سميع الدعاء، أي مجيب الدعاء ،كما قال إبراهيم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم: ٣٩] أي: مجيبه، فهو جَلَّ وَعَلَا يجيب دعاء المضطر وإن كان كافراً، ولهذا يجيب الله عَزَّ وَجَلَّ، دعاء المضطرين في البحر، إذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فينجيهم، ويجيب جَلَّ وَعَلَا دعوة المظلوم، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها

وبين الله حجاب» ويجيب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من تعبد له وحمده وأثنى عليه ،كما يقول المصلي: «سمع الله لمن حمده» .

وأما العليم: فهو من أسمائه أيضـًا، وعلم الله تعالى علم واسع محيط بكل شيء قال الله تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

يعلـم ما في الأرحام، ومفاتح الغيـب خمس مذكورة في قوله تعالـى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمـان: ٣٤] فالله عَزَّوَجَلَّ عنده مفاتح الغيب، ما تسـقط من ورقة من شـجرة إلا يعلمها، إذا سقطت ورقة في شجرة في أبعد الفيافي، ولو كانت الورقة صغيرة فالله يعلمها، وإذا كان يعلم السـاقط فهو جَلَّوَعَلَا يعلم الحادث الذي يخلقه، فكل شيء فالله به عليم.

قـال الله تعالـى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ أنـت الآن مثلاً في بلدك مسـتقر ولا عندك نية تسـافر يميناً ولا شـمالاً، فإذا أراد الله أن تمـوت بأرض جعل لك حاجة فيها، تحملك تلك الحاجة إلى تلك الأرض، وتموت هناك.

إذن: علم الله محيط بكل شيء حتى ما في نفسك، إذا كنت تفكر في شيء فالله يعلم ما يدور بنفسك، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق: ١٦] فإياك أن تخفي في نفسك ما الله مبديه، إياك أن تخفي في نفسك ما لا يُرضي الله جَلَّ وَعَلَا.

فالمهم أن هذا الدعاء مشروع في كل صباح وفي كل مساء «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم»[١].

❋❋❋

رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبيًا

(ثلاث مرات).

الشرح:

قوله: (رضيت بالله ربًا) يشمل: ربوبية الشرع وربوبية القدر.

فربوبية القدر: أن يرضى بقضاء الله وقدره، له أو عليه.

وربوبية الشرع: أن يرضى بشرع الله تعالى، أمراً كان أو نهيًا.

(١) انظر شرح رياض الصالحين ٥/ ٥٥٠.

والناس بالنسبة للأول - وهو الربوبية القدرية - كلهم راضون، حتى لو سخطوا لا يجدون فكاكًا منه . أما ربوبية الشرع، فمنهم من يرضى، ومنهم من لا يرضى.

وقوله: (وبالإسلام دينًا) يخرج جميع الأديان سوى الإسلام؛ لأن غير الإسلام غير مقبول عند الله؛ قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمرن: ٨٥].

وقوله: (وبمحمد رسولاً) يعني: متبعًا، وإلا فإننا نرضى بجميع الرسل عليهم الصلاة والسلام، نؤمن بهم على أنهم رسل الله، وأن ما جاءوا به حق، لكن الرسول المتبع - الذي يجب علينا اتباعه - هو محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما غيره من الأنبياء، فإننا لا نتبعهم إلا حسب ما يؤذن لنا في الشريعة(١).

❋❋❋



أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله لا إله إلا الله وحدة لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير رب أسألك خير ما في هذا اليوم وخير ما بعده وأعوذ

(١) انظر التعليق على صحيح مسلم ١/ ١٧٦ .

بك من شـر ما في هذا اليوم ومن شر ما بعده رب أعوذ بك من الكسل والهرم وسوء الكبر وأعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر . وفي المساء يقول أمسينا وأمسى الملك لله ويقول: رب أسألك خير ما في هذه الليلة .. إلخ بدلاً من: (أصبحنا وأصبح) وعن: (هذا اليوم).

الشرح:

كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكر الله تعالى بهذا الدعاء صباحاً ومساءً، إلا أن الصيغة تختلف باختلاف الزمان فإذا أصبح قال: (أصبحنا) وإذا أمسى قال: (أمسينا) فالإصباح: يدخل من طلوع الفجر، وينتهي بارتفاع الشمس ضحى، والمساء: يدخل من صلاة العصر، وينتهي بصلاة العشاء أو قريباً منه . فالأذكار التي أريدت بالصباح والمساء هذا وقتها.

قوله: (لا إله إلا الله) يعني: لا معبود حق إلا الله، فلا معبود في الكائنات يستحق أن يعبد إلا الله عَزَّوَجَلَّ، أما الأصنام التي تعبد من دون الله فليست مستحقة للعبادة، حتى وإن سماها عابدوها آلهة، فإنها ليست آلهة، بل هي كما قال الله تعالى: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ [يوسف: ٤٠]

فالمعبود حقًا هو الله عَزَّوَجَلَّ.

وقوله: (وحده لا شريك له) هذا من باب التأكيد، تأكيد وحدانيته جَلَّوَعَلَا وأنه لا مشارك له في ألوهيته.

وقوله: (له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) له الملك المطلق العام الشامل الواسع، ملك السماوات والأرض وما بينهما، ملك الآدميين والحيوانات والأشجار والبحار والأنهار والملائكة والشمس والقمر، كل هذه ملك لله عَزَّوَجَلَّ، ما علمنا وما لم نعلم، له الملك كله يتصرف فيه كما يشاء وعلى ما تقتضيه حكمته جَلَّوَعَلَا.

«وله الحمد» يعني: الكمال المطلق على كل حال، فهو جَلَّوَعَلَا محمود على كل حال في السراء وفي الضراء، أما في السراء فيحمد الإنسان ربه حمد شكر، وأما في الضراء فيحمد الإنسان ربه حمد تفويض؛ لأن الشيء الذي يضر الإنسان قد لا يتبين له وجه مصلحته فيه ولكن الله تعالى أعلم، فيحمد الله تعالى على كل حال، وكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أتاه ما يسره قال: «**الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات**» وإذا أتاه ما لا يسره قال: «**الحمد لله على كل حال**».

قوله: «وهو على كل شيء قدير» أي: مع عموم ملكه قدرته أيضاً عامة على كل شيء، ما من موجود إلا وهو قادر على إعدامه، وما من معدوم إلا وهو قادر على إيجاده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولا يستثنى من هذا شيء هو قادر على كل شيء.

الحاصل: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يكثر من ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ، على وجوه متنوعة، ومنها هذا الذكر، ومن أراد الاستزادة من هذه الأذكار فعليه بكتاب (الأذكار) للحافظ النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أو (الوابل الصيب من الكلم الطيب) لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أو غير ذلك مما ألفه العلماء في هذا الباب[1].

❊❊❊

اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت واليك النشور. وفي المساء يقول: اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نموت وبك نحيا وإليك المصير.

الشرح:

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهم بك أصبحنا»: لها معنيان: الأول:

---

(١) انظر شرح رياض الصالحين ٥/ ٤٩٢و٥٤٢ . وفتح ذي الجلال والإكرام ١٥/ ٥٠٧ و ٥٢٨ .

أنت الذي أبقيتنا حتى أدركنا الصباح، والثاني: باعتبار الجو والفلك، فالذي أتى بالإصباح هو الله، والذي أبقى الإنسان إلى الصباح هو الله، فيكون معنى «بك أصبحنا» باعتبار بقاء الإنسان إلى الصبح، وباعتبار الإتيان بالإصباح، يقول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [القصص: ٧١-٧٢]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

فالمعنى: لولا أنت ما بقينا إلى الصباح، ولولا أنت ما جاء الإصباح.

قوله: (وبك أمسينا) نقول فيه: مثل ماقلنا في (بك أصبحنا).

قوله: (وبك نحيا) حياة الإنسان في الصباح، أو في المساء، أو فيما بين ذلك، بالله عَزَّوَجَلَّ، لولا أن جاد الله لك بالغذاء والهواء واللباس مابقيت أبداً، فبقاؤك بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: (وبك نموت»: أي: أنت الذي تميتنا.

فإن قال قائل: وماذا لو قتل الإنسان؟

قلنا: حتى إذا قتل الذي أخرج روحه هو الله عَزَّوَجَلَّ، وكم من إنسان أصيب بحادث مميت ومع ذلك يبقى، فالموت بيد الله، والحياة بيد الله.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وإليك النشور): يعني نشور الخلائق يوم القيامة، حين تنشر إلى الله، وتحشر إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وذكر النشور هنا مناسب؛ وذلك لأن الإنسان إذا أصبح فقد بعث من موت، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الأنعام: ٦٠]، فكان ذكر النشور هنا مناسباً تماماً.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وإليك المصير): المصير المرجع؛ لأن آخر النهار كآخر دنيا الإنسان، يكون مقبلاً على موت النوم، أو على وفاة النوم على الأصح، وهذا يشبه مصير الإنسان إلى ربه عند موته[١].

❊❊❊

(١) انظر شرح رياض الصالحين ٥/ ٥٣٩ . وفتح ذي الجلال والإكرام ١٥/ ٥٢٨ .

اللهـم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين ومن قهر الرجال.

الشرح:

قوله: (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن) الحزن لما مضى والهم لما يستقبل، والإنسان إذا كان حزيناً فيما مضى مهتماً لما يستقبل فإنه يتنكد عيشه، لكن إذا كان لا يهتم إلا بحاضره ويستعد لمستقبله على الوجه الذي أمر به كان ذلك من طمأنينته، فكان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستعيذ بالله من الهم والحزن، كثير من الناس تجده يهتم اهتماماً عظيماً للمستقبل، اهتماماً لا داعي له، فتتنكد عليه حياته ويتعب، وإذا وصل إلى حد الفعل وجده سهلاً، وكثير من الناس أيضاً لا ينسى ما مضى فيتجدد له الحزن فيتعب.

قوله: (وأعوذ بك من العجز والكسل) العجز عدم القدرة، والكسل عدم الإرادة، وذلك أن الإنسان إذا لم يفعل فإما لعجزه عن الفعل لمرض، أو كبر أو غيره، وإما لعدم عزيمته وإرادته، فكان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستعيذ بالله من العجز والكسل.

قوله: (وأعوذ بك من الجبن والبخل) الجبن هو الشح بالنفس وألا يكون الإنسان شجاعاً فلا يقدم في محل الإقدام، وأما البخل فهو الشح بالمال، لا يبذل المال بل يمسكه حتى في الأمور الواجبة لا يقوم بها.

قوله: (وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال) فالدين - والعياذ بالله - هم بالنهار وسهر بالليل، والإنسان المدين يقلق ويتعب، ولكن بشرى للإنسان أنه إذا أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، وإذا أخذها يريد إتلافها أتلفه الله . فإذا أخذت أموال الناس بقرض أو ثمن مبيع أو أجرة بيت أو غير ذلك وأنت تريد الأداء أدى الله عنك، إما في الدنيا يعينك حتى تسدد، وإما في الآخرة، صح ذلك عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

أما المتلاعب بأموال الناس والذي يأخذها ولا يريد أداءها ولكن يريد إتلافها فإن الله يتلفه والعياذ بالله[1].

❊❊❊

(١) انظر شرح رياض الصالحين ٦/ ٣١ . وفتح ذي الجلال والإكرام ١٥/ ٥١٧ .



اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك العفو والعافيـة في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمـن روعاتي اللهم احفظني مـن بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن اغتال من تحتي.

الشرح:

قولـه: «اللهـم إني أسـألك العافيـة في ديني»: يقول الرسـول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخاطب ربه عَزَّ وَجَلَّ: «اللهم إني أسـألك العافية في ديني»، والدين كلما تقرب به العبد إلى ربه عَزَّ وَجَلَّ، والعافية في الدين تشمل شيئين:

١. الشيء الأول: العافية من الشبهات.

٢. الشيء الثاني: العافية من الشهوات.

فأمـا العافية مـن الشـبهات فتعنـي أن الله تعالى يمـن عليك بالعلم، الذي هو نـور تهتدي به، ولا يلتبس عليك الحق بالباطل، ولهذا جاء في الدعاء المأثور:

«اللهم أرني الحق حقًا وارزقني اتباعه، وأرني الباطل باطلًا وارزقني اجتنابه ،ولا تجعله ملتبسًا علي فأضل».

أما العافية من الشهوات فهو أن يسأل ربه أن يعافيه من الإيرادات السيئة ؛لأن الإنسان قد يكون عنده علم لكن ليس عنده إرادة حسنة، يعرف أن هذا باطل، ولكن لايمتنع عنه، يعرف أن هذا حق ولكن لايفعله.

فعندنا الآن مثلان:

المثل الأول: رجل وقع في باطل وهو لايعلم، فنوع بلائه من الشبهات .

ورجل آخر: وقع في باطل يعلم أنه باطل لكن نفسه دعته إليه، فهذا بلاؤه من الشهوات.

إذن: مدار الضلال على هذين الأمرين، إما الجهل وإما الهوى، فإذا سألت الله العافية فإنك تسأل الله في الواقع علمًا، وتسأله هدى وتوفيقًا.

والعافية في الدنيا: أن الله تعالى يعافيك من الأسقام والأمراض الجسدية؛ حتى تصبح معافى تستطيع أن تقوم بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ.

قولـه: «وأهلي»: هذا من عافية الدنيا، أن يعافيك الله تعالى في أهلـك، بمعنى أن يجعـل أهلك في طاعتـك، وفي توجيهك، وأن يبقيهم لك، وأن لا يكدر صفوك فيهم بمرض أو عاهه أو ما أشبه ذلك.

قوله: «ومالي»: فتسـأل الله أن يعافيـك في مالك، بأن يحفظه ويقيـه الآفات، سـواء أن كانـت الآفات بفعـل الله عَزَّوَجَلَّ، أو بفعل مخلوق يسرق ويخون، وما أشبه ذلك.

قوله: «اللهم استر عوراتي»: استر بمعنى غط، والعورة مايقبح من قول أو عمل، وسترها أن يواريها الله عَزَّوَجَلَّ عن أنظار الناس فلا يسمعون قولاً يسوء ولا يرون فعلاً يسوء.

قولـه: «وآمـن روعـاتي»: أي اجعلنـي آمنا عنـد الروعات، والـروع هو الخوف؛ لقـول الله تعالـى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ ﴾ [هود: ٧٤].

والإنسـان لاشـك أنه يقع في قلبه مخافه طبعية عادية، فيسأل الله تعالـى أن يؤمـن هذا الروع، وإبراهيـم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أصيب بالروع، وموسـى أصيب بالروع، ومحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصيـب بالروع أول

ما جاءه الوحي وضمه جبريل، ولكن هذا الخوف والروع ليس خوف العبادة ولا الخوف الذي يستلزم ترك ما أمر الله به ورسوله.

قوله: (واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي) هذه خمسة جهات.

قوله: (وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي) هذه السادسة، وهذا يدل على أن العذاب الذي يأتي من تحت أشد وأعظم، ولهذا اعتصم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعظمة الله أن يغتال من تحته من الشياطين، من الجن، من الخسف، وما أشبه ذلك.

ومعنى أغتال: يعني أهلك، والاغتيال هو القتل بغير استعداد له بأن يقتل على غفلة، ووجه ذلك أن الإنسان إذا جاءه الشر من بين يديه، أو من خلفه، أو عن يمينه، أو عن شماله، أمكنه الفرار من فوقه، فربما يمكنه إذا شاهد أسباب العذاب أو ما أشبه ذلك يمكنه أن يختبئ، لكن إذا جاءه من تحته وخسف به وهو غافل لا يحس بشيء صار هذا أشد.

وعلى كل حال: كان الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لا يترك هذه الكلمات، وهذه الكلمات مقيدة بالصباح والمساء[١].

---

(١) انظر فتح ذي الجلال والإكرام ١٥/٥٠٦ .

اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

الشرح:

هذا سيد الاستغفار كما في حديث شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «سَيِّدُ الاسْتِغْفار أَنْ يقُول الْعبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لا إِلَه إِلاَّ أَنْتَ خَلَقْتَنِي وأَنَا عَبْدُك، وأَنَا على عهْدِك ووعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِك مِنْ شَرِّ ما صنَعْتُ، أَبوءُ لَكَ بِنِعْمتِكَ علَيَ، وأَبُوءُ بذَنْبِي فَاغْفِرْ لي، فَإِنَّهُ لا يغْفِرُ الذُّنُوبِ إِلاَّ أَنْتَ» أخرجه البخاري.

قوله: «سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ»: يعني أشرفه، والاستغفار هو طلب المغفرة بأي صيغة تكون، سواءً كانت بقول: «اللهم اغفر لي»، أو بقول: «أستغفر الله»، أو بقول: «اللهم ياغفار»، أو ما أشبه ذلك، والمغفرة: هي طلب العفو والتسامح عن الذنب، وستر الذنب أيضًا؛ وأخذنا هذين المعنيين - وهما العفو والستر - من الاشتقاق؛ لأن المغفرة مشتقة من المغْفَر، والمغفر ما يوضع على الرأس من حديدٍ أو نحوه؛ اتقاء السهام، ففيه ستر، وفيه وقاية.

قوله: «اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت»: هذا فيه إثبات الربوبية وإثبات الألوهية.

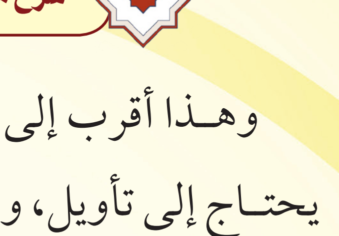
قولـه: «خلقتنـي» هذا فعل مـن مقتضى الربوبيـة؛ لأن معنى الربوبية أنه خالق مالك مدبر، فيقول العبد: «أنت ربي»، ثم يقول: «خلقتني».

قولـه: «وأنا عبـدك» عبدك كونـًا وشـرعًا؛ لأن هذا القول من مؤمن، فأنا عبدك كونًا تفعل بي ما شـئت، وأنا عبدك شرعًا، أقوم بأمرك، وأدع نهيك.

فإن قيل: البعض يقول أن المرأة لا تقول «عبدك»؟

قلنا: مـن العلماء من يقول المرأة تقول: «وأنا أمتك»، ومنهم من يقول: المرأة تقول: «وأنا عبدك» اتباعًا للفظ، وهي في الحقيقة عبدٌ لله باعتبار الشخص، لا باعتبار الأمة، فكلمة «شخص»مذكر، ومثله: «عبدك ابن عبدك ابن أمتك»، فهل تقول المرأة: «أنا عبدك ابن عبدك»، أم تقول: «أنا أمتك بنت عبدك»؟

الجواب: المرأة تقول: «وأنا أمتك، وأنا على عهدي ووعدك ما استطعت»،



وهـذا أقرب إلى الصـواب؛ لأن إبقـاء اللفظ: «وأنـا عبدك» يحتـاج إلى تأويل، وأما «وأنا أمتـك» فلا يحتاج إلى تأويل؛ لأنها حقيقـة أمة الله عَزَّوَجَلَّ؛ ولهذا جـاء في الحديث الصحيح: **«لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»**.

قولـه: «وأنـا على عهدك ووعـدك ما اسـتطعت»: عهدك أي ميثاقك، ووعدك أي وعدك بالثـواب، ففي الأول التزام بالعمل، وفي الثـاني إيمـان بالجزاء، لأن الله أخذ علينـا العهد والميثاق بما أعطانـا من العلم والعقل، وبما بعث إلينا من الرسـل أن نؤمن به ونعبده على وعده بالثواب والجزاء، أي أنني مصدق بالوعد، ففي هذا إيمان وعمل صالح، فالعهد يتضمن العمل الصالح، والوعد يتضمن الإيمان، ولكنه قال: «ما استطعت» أي مدة استطاعتي أو مهما اسـتطعت، فعلى الأول تكون (مـا) مصدرية ظرفية، وعلى الثاني تكون (ما) شـرطية وجوابها محذوف، أي: ما استطعت فأنا فاعل، والاسـتطاعة هي القدرة، ومنه قوله تعالى عن الحواريين، حيث قالـوا: ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ (المائـدة: ١١٢)، وهـي مأخوذة مـن الطاعة؛ لأن الطاعـة معناها فعل الشيء عن انقياد واختيار.

وقوله: «ما استطعت»: هل هو للترخيص، أو للتشديد؟ فهي تحتمل هذا وهذا، إنما هي تدل على أن الإنسان لابد أن يقوم بالعهد بقدر الاستطاعة، وأن ما وراء الاستطاعة ليس مكلفًا به، ومثلها قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن: ١٦)، أي هينة من وجه، وشديدة من وجه آخر، فمن جهة أن الإنسان لابد أن يستنفد جهده في فعل الطاعة تكون شديدة، ومن جهة أنه لا يكلف فوق طاعته تكون يسيرة.

قوله: «أعوذ بك من شر ما صنعت»: بضم التاء، أي: أعتصم بك من شر ما صنعت، أي من الذنوب، فإن الذنوب كلها شر، وموجبة للعقوبة، إلا أن يعفو الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أبوء لك بنعمتك علي»: بمعنى أعترف لك، أي لله عَزَّوَجَلَّ، بنعمتك علي، وقوله: «أبوء لك» أبلغ عن قول: أبوء بنعمتك، لأن هذا تخصيص وتنصيص على الشكر لله عَزَّوَجَلَّ والاعتراف بنعمه.

قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وأبوء لك بذنبي»: أي أعترف لك بذنبي، و(ذنب) هنا مصدر مضاف، فيكون عامًّا لكل الذنوب، والاعتراف بالذنب، يعني سؤال المغفرة، ولهذا قال: «فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر



الذنوب إلا أنت»: اغفر لي: يعني اعف عن عقوبتي، واستر عليَّ؛ لأن المغفرة مأخوذة من المغفر، وهو متضمن لشيئين: الستر والوقاية، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، هذا إقرار واعتراف بأن الخلق مهما اجتمعوا على أن يغفوا ذنبًا واحدًا ما استطاعوا؛ لأن الأمر على الله عَزَّوَجَلَّ، فلا يغفر الذنوب إلا الله، فهذا في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ (آل عمران: ١٣٥)، أي: لا أحد يغفرها إلا الله عَزَّوَجَلَّ[١].

❋❋❋

اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه وأن اقترف على نفسي سوءاً أو أجُره إلى مسلم.

الشرح:

هذا من الأذكار التي تقال في الصباح والمساء والذي علمها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قال: علمني، فعلمه النبي

---

(١) انظر فتح ذي الجلال والإكرام ١٥ / ٤٩٨ ، وشرح رياض الصالحين ٦/ ٧١٦ .

ﷺ ذكراً ودعـاء يدعو به كلما أصبح وكلما أمسـى، يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـال: «قل: اللهم فاطر السـماوات والأرض، عالم الغيب والشـهادة رب كل شـيء ومليكـه» «قل: اللهم فاطر السـماوات والأرض» يعنـي: يا الله يا فاطر السـماوات والأرض، وفاطرهما يعني: أنه خلقهما عَزَّوَجَلَّ على غير مثال سابق بل أبدعهما وأوجدهما من العدم على غير مثال سـبق «عالم الغيب والشهادة» أي: عالم مـا غاب عـن الخلق وما شـاهدوه؛ لأن الله تعالـى يعلم الحاضر والمستقبل والماضي.

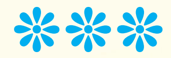
«رب كل شيء ومليكه» يعني: يا رب كل شيء ومليكه، والله تعالى هو رب كل شيء، وهو مليك كل شيء، والفرق بين الرب والمالك في هذا الحديث، أن الرب هو الموجد للأشـياء الخالق لها، والمليك هو الذي يتصرف فيها كيف يشـاء «أشـهد أن لا إله إلا أنـت» أعترف بلسـاني وقلبي أنه لا معبود حـق إلا أنت، فكل مـا عبد مـن دون الله فإنه باطل لا حق لـه في العبودية، ولا حق في العبودية، إلا لله وحده عَزَّوَجَلَّ.

«أعـوذ بك من شـر نفسـي» لأن النفس لها شـرور، كما قال تعالـى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ

رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ [يوسف: ٥٣]. فإذا لم يعصمك الله من شرور نفسك فإنها تضرك وتأمرك بالسوء، ولكن الله إذا عصمك من شرها، وفقك إلى كل خير.

«ومن شر الشيطان وشركه» وفي لفظ «وَشَرِكِهِ» يعني تسأل الله أن يعيذك من شر الشيطان ومن شر شركه، أي: ما يأمرك به من الشرك، أو «شَرَكِهِ»، والشَرَكَ ما يصاد به الحوت والطير وما أشبه ذلك؛ لأن الشيطان له شَرَك يصطاد به بني آدم، إما شهوات أو شبهات أو غير ذلك.

«وأن أقترف على نفسي سوءا أو أجره إلى مسلم» أقترف يعني أجر على نفسي سوءا «أو أجره إلى مسلم» فهذا الذكر أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا بكر أن يقوله إذا أصبح وإذا أمسى وإذا أخذ مضجعه[١].



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٥/ ٥٤٠.

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير (مائة مرة) في الصباح والمساء.

الشرح:

قوله: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شـيء قدير» .سبق أن أوضحنا معاني هذه الكلمات عند قوله: (أصبحنا وأصبح الملك لله).

مـن قال في يومه مائة مرة لا إله إلا الله وحده لا شـريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، كما جاء في الحديث، حصل له هذه الفضائل الخمس:

أولاً: كان كمن أعتق عشر رقاب، وثانيًا: كتبت له مائة حسنة، وثالثًا: حطت عنه مائة خطيئة، ورابعًا: كانت له حرزاً من الشيطان، وخامسًا: لم يأت أحـد بأفضل مما جاء به إلا مـن عمل أكثر مما عمل. وهذه سـهلة، يمكـن وأنت تنتظر صلاة الفجـر بعد أن تأتي للمسـجد تقولها في طريقك أو بعد طلوع الفجـر تقولها تنتفع بها، وهذا أيضًا من الأمور التي ينبغي للإنسـان أن يداوم عليها وينبغي أن يقولها في أول النهار لتكون حرزاً له من الشيطان[١].

(١) انظر شرح رياض الصالحين ٥/ ٤٨٨ و ٥٤٣ .

سبحان الله وبحمده (مائة مرة) في الصباح والمساء . أو فيهما جميعا.

الشرح:

إذا قال الإنسان سبحان الله وبحمده مائة مرة حين يصبح ومائة مرة حين يمسي لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا من عمل أكثر مما عمل، وهذا الذكر «سبحان الله وبحمده» معناه أنك تنزه الله عَزَّوَجَلَّ عن كل ما لا يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وتثني عليه بل وتصفه بصفات الكمال، وذلك في قولك: «وبحمده» فينبغي للإنسان إذا أصبح أن يقول: «سبحان الله وبحمده مائة مرة» وإذا أمسى أن يقول: «سبحان الله وبحمده مائة مرة» وذلك ليحوز هذا الفضل الذي ذكره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إذن: «من قال: سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت عنه خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر» كما ورد، وهذه سبحان الله وبحمده تقولها: في آخر النهار لأجل أن تحط عنك خطايا النهار، فانتهز الفرصة يا أخي انتهز الفرصة، العمر يمضي ولا يرجع ما مضى من عمرك فلن يرجع إليك وهذه الأعمال أعمال خفيفة مفيدة ثوابها جزيل وعملها قليل، نسأل الله أن يعيننا وإياكم على

ذكره وشكره وحسن عبادته[1].

❊❊❊

﴿حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ١٢٩﴾ (سبع مرات).

الشرح:

قوله: ﴿حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾ أي: كافيني الله.

قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، أي: لا معبود حق حقيق بالعبادة سوى الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾، عليه: جار ومجرور متعلق بتوكلت، وقدم للحصر. والتوكل: هو الاعتماد على الله في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة به، وفعل الأسباب النافعة.

وقوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ مع قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فيها جمع بين توحيدي الربوبية والعبودية، والله تعالى يجمع بين هذه الأمرين كثيرًا، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥﴾ [الفاتحة: ٥]، وقوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].

(١) انظر شرح رياض الصالحين ٥/ ٥٣٩، وفتح ذي الجلال والإكرام ١٥/ ٤٦٦.

قوله: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ١٢٩﴾، الضمير يعود على الله سبحانه.

و﴿رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ﴾، أي: خالقه، وإضافة الربوبية إلى العرش وإن كانت ربوبية الله عامة تشريفًا للعرش وتعظيمًا له.

ومناسبة التوكل لقوله: ﴿رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾، لأن من كان فوق كل شيء ولا شيء فوقه، فإنه لا أحد يغلبه، فهو جدير بأن يتوكل عليه وحده.

وقوله: ﴿ٱلۡعَرۡشِ﴾ فسره بعض الناس بالكرسي، ثم فسرو الكرسي بالعلم، وحينئذ لا يكون هناك كرسي ولا عرش، وهذا التفسير باطل، والصحيح أن العرش غير الكرسي، وأن الكرسي غير العلم، ولا يصح تفسيره بالعلم، بل الكرسي من مخلوقات الله العظيمة الذي وسع السماوات والأرض، والعرش أعظم وأعظم، ولهذا وصفه بأنه عظيم بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ١٢٩﴾ [التوبة ١٢٩]، وبأنه مجيد بقوله: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥﴾ [البروج: ١٥] على قراءة كسر الدال، وبأنه كريم في قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦﴾ [المؤمنون: ١١٦]، لأنه أعظم المخلوقات التي بلغنا علمها وأعلاها لأن الله استوى عليه(١).

---

(١) انظر القول المفيد على كتاب التوحيد ١/ ٤٤٢.



استغفر الله وأتوب إليه. (مائة مرة).

الشرح:

الاستغفار: هو طلب المغفرة، وما من إنسان إلا وهو خطاء كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» والخطأ الذي يصدر من بني آدم: إما تقصير في واجب، أو فعل لمحرم ولا يخلو الإنسان من ذلك، ولكن دواء الذنوب الاستغفار - والحمد لله - وفي الأثر: «أن الشيطان يقول: أهلكت بني آدم يعني بالخطايا والذنوب وأهلكوني بـ«لا إله إلا الله والاستغفار» فالاستغفار سبب للمغفرة، ولذا أمر الله تعالى به في آيات كثيرة من القرآن، منها قول الله تعالى لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩] فأمر الله تعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يعلم بأنه لا معبود حقاً إلا الله، وأمره أن يستغفر فقال: «واستغفر لذنبك» هذا وهو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، أمر أن يستغفر لذنبه، وكذلك أثني الله تعالى على المستغفرين في آيات كثيرة ومنها: ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧﴾ [آل عمران: ١٧] وهم الذين يستغفرون الله في آخر الليل،

قال العلماء: وذلك أنهم يتهجدون ويعبدون الله ويرون أنهم مقصرون فيسألون الله المغفرة، هذا مع أنهم مجتهدون قائمون الليل، ومع ذلك يستغفرون خوفًا من التقصير، فينبغي للإنسان أن يكثر من استغفار الله عَزَّوَجَلَّ.

وهناك أيضًا أحاديث تحث على الإكثار من الاستغفار فمنها: حديث الأغر المزني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مئة مرة»** رواه مسلم، فقوله: **(إنه ليغان على قلبي)** يعني يحدث له شيء من الكتمة والغم وما أشبه ذلك **(وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة)** يقول: أستغفر الله، في اليوم مائة مرة!

هذا وهو النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ! فكيف بنا !! ولكن قلوبنا قاسية ميتة لا يغان عليها بكثرة الذنوب ولا يهتم الواحد منا بما فعل، ولذلك تجد الإنسان غير مبال بمثل هذا، وقليل الاستغفار .

والذي ينبغي للإنسان أن يكون له أسوة حسنة في رسول الله

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر الاستغفار كما قال ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «إننا نعد للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المجلس الواحد مائة مرة أو أكثر: رب اغفر لي وارحمني» وكذلك أخبر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن من نعمة الله على العباد أنه إذا ابتلاهم بالذنوب فاستغفروا الله غفر لهم وأنه قال: **«لو لم تذنبوا لذهب الله تعالى بكم، ثم جاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم»** وهذا حث على أن يستغفر الإنسان ربه ويكثر من الاستغفار؛ لأنه ينال بذلك درجة المستغفرين الله عَزَّ وَجَلَّ وكذلك أخبر فيما رواه أبو داود: **«أن من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجًا ومن كل هم فرجًا ورزقه من حيث لا يحتسب»** والأحاديث في فضل الاستغفار والثناء على أهله والحث عليه كثيرة، فعليك يا أخي بكثرة الاستغفار، أكثر من قول: اللهم اغفر لي، اللهم ارحمني، أستغفر الله وأتوب إليه، وما أشبه ذلك لعلك تصادف ساعة إجابة من الله عَزَّ وَجَلَّ فيغفر لك فيها(١).

وقوله: (وأتوب إليه) التوبة شرعًا: الرجوع من معصية الله تعالى إلى طاعته.

---

(١) انظر شرح رياض الصالحين ٦/ ٧١٢.

وأعظمهـا وأوجبهـا التوبـة من الكفـر إلى الإيمـان، قال الله تعالـى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ﴾ [الأنفال: ٣٨]، ثـم يليها التوبة من الكبائر؛ كبائر الذنوب. ثم المرتبة الثالثة: التوبـة من صغائـر الذنوب. والواجب على المـرء، أن يتوب إلى الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ من كل ذنب.

■ وإذا تاب الإنسان إلى ربه حصل بذلك فائدتين:

الفائـدة الأولى: امتثـال أمـر الله ورســوله؛ وفي امتثـال أمـر الله ورسوله كل الخير. فعلى امتثال أمر الله ورسوله تدور السعادة في الدنيا والآخرة.

والفائـدة الثانيـة: الاقتـداء برســول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ . حيـث كان صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يتــوب إلى الله في اليــوم مائة مرة؛ يعنـي: يقول: أتوب إلى الله، أتوب إلى الله ... والتوبة لابد فيها من صدق، بحيث إذا تاب الإنسان إلى الله أقلع عن الذنب.

أما الإنسان الذي يتوب بلسانه وقلبه مُنطوٍ على فعل المعصية، أو على ترك الواجب. أو يتوب إلى الله بلســانه، وجوارحه مُصِرَّة علـى فعـل المعصية؛ فـإن توبته لا تنفعـه، بل إنها أشــبه ما تكون



بالاستهزاء بالله عَزَّوَجَلَّ! نسأل الله أن يتوب علينا وعليكم، وأن يهدينا وإياكم صراطًا مستقيمًا. والله الموفق[1].





(١) انظر شرح رياض الصالحين ١/ ٨٦.